

الولاء والبراء

تقديم فضيلة الشيخ
عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين
تأليف
مها البنيان
ردها الله

مصدر هذه المادة:

الكتيبة السالمة
www.ktibat.com



دار القرآن

مقدمة الشيخ عبد الله بن جبرين

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا ووعدنا بالنصر والتمكين والأمن بعد الخوف والاستخلاف في الأرض متي حققنا الإيمان والعمل الصالح وعبادة الله تعالى وحده. وأصلى وأسلم على نبي الرحمة ونبي الملهمة الذي جهر بالدعوة إلى ربه وجاحد في الله حق جهاده حتى أظهر الله دينه على الدين كله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه.

أما بعد:

فقد تصفحت هذه الورقات وفهمت ما فيها من الأدلة والإشارات مما كتبته إحدى الأخوات المسلمات المؤمنات القانتات التائبات العابدات، وتدعى بالأخت منها البنيان والتي أهنت الدراسة الجامعية ثم انتقلت إلى رحمة الله وغفوه، ولقد دلت كتابتها على سعة اطلاع وبعد فهم وتعقق في التوحيد والعقيدة، فكتبت هذه الفصول وبيّنت فيها ما يهدف إليه دين الإسلام من الحب والإحاء والولاء لكل مسلم في أي بقعة من أصقاع البلاد، وأن الأخوة الإسلامية تفرض على كل مسلم أن ينصر إخوانه في الدين ويواлиهم ويوصل إليهم كل خير في الدين والدنيا، ويدب عنهم كيد الأعداء ويعلّمهم ما ينفعهم في حاهم وما هم، كما أن عليهأخذ الحذر من أعدائه الألداء الذين يضمرون الحقد والبغضاء لكل مسلم، وأن على المسلم بعد عن حيلهم والحيطة عن الوقوع في حبائلهم حتى ينجو بدينه وعقيدته فهناك يعز الله أولياء المؤمنين كما وعدهم تعالى

بقوله: ﴿وَلَيُصْرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١) ولقد صدقهم الله وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأظهر دينه على الدين كله فما على المسلمين إلا أن يعودوا إلى دينهم القوم ويتمسكوا بتعاليمه حتى يحظوا بالنصر والتمكين والله عاقبة الأمور وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٤١٨/١٢٣

كتبه/ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

(١) سورة الحج، الآيتين: ٤٠ - ٤١.

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شَرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلُ لَهُ
وَمِنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَتَبْاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَإِنْ أَصْلَ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: كَلْمَةُ التَّوْحِيدِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ" .

هذا الكلمة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً،
والتصديق به عقلاً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبةً وخصوصاً،
والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذها والدعوة إليه بحسب الإمكانيات،
وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله، والمنع لله، وأن
يكون الله وحده إلهه ومعبوده والطريق إليه: تحرير متابعة رسوله
ظاهراً وباطناً.

هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن
حس الناس اليوم إلا من رحم الله، ومن المفاهيم بل من أهمها
موضوع: "الولاء والبراء" ولكن كان هذا المفهوم العقدي المهم قد
غاب اليوم عن واقع المسلمين. إلا من رحم ربك. فإن ذلك لا يغير
من حقيقته الناصعة شيئاً.

ولن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء، والبراء من يستحق البراء منه. وبحسب بعض الناس أن هذا المفهوم العقدي الكبير يدرج ضمن القضايا الجزئية أو الثانوية ولكن حقيقة الأمر بعكس ذلك.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: آية ٥١] يقول الشيخ محمد بن عتيق — رحمه الله — :

"إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أين من هذا الحكم — أي الولاء والبراء — بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده".

وتبرزاليوم على الساحة دعوات مشبوهة تنادي بالإحساء والمساواة والاتحاد بين الأمم على اختلاف مشاربها وعقائدها وأهدافها، مع احتفاظ كل ذي دين بدينه، شريطة أن يكون ديناً كهنوتيًا لا صلة له بالحياة.

وقد ظهرت هذه الدعوات بقوالب وأشكال وعناوين متعددة ربما تتفق في الغايات والأهداف.

وذلك مثل: العالمية، الإنسانية، زمالة الأديان، تقارب الأديان، التعايش مع المسلمين، المجتمع الدولي، وهكذا.

وللأسف الشديد انساق كثير من المسلمين وراء هذه الدعوات فغاب عنهم المفهوم العقدي للولاء والبراء، وبرزت صور موالاة الكفار في أمور شتى منها:

- ١ - التشبه بهم في اللبس والكلام.
- ٢ - الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.
- ٣ - السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.
- ٤ - التاريخ بتاريخهم خصوصا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي.
- ٥ - التسمي بأسمائهم ^(١).

إلى غير ذلك من الأمور التي فيها مخالفة لمفهوم عقيدة الولاء والبراء.

لذلك أصبح من الضروري أن يكون لدى كل مسلم علما بهذه العقيدة وبما يحاك ضدها، ليقف الموقف السليم ضد أعداءه ولا ينساق وراء الدعوات المشبوهة. وهذه فصول مهمة شرحت فيها بعض الأدلة المتعلقة بالولاء والبراء في دين الإسلام.

هذا والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما نافعا.

(١) الولاء والبراء. الفوزان.

الفصل الأول

تعريفه وأهميته في الكتاب والسنة

الولاء لغة:

يطلق على عدة معانٍ، منها الحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء والدُّنْو منه.

جاء في لسان العرب: المولاة. كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هو فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه.

والمولاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو. قال تعالى: ﴿يَا أَبْتَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيَ﴾ [سورة مريم: ٤٥]. والمولاة من والي القوم. قال الشافعي في قوله ﴿مَنْ كَنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهٌ﴾ أخرجه أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ وَقَالَ الألباني: صحيح.

الولي: القرب والدُّنْو. والمولاة: المتابعة ^(١).

الولاء شرعاً:

هو موافقة العبد ربِّه فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة ولِيُّ اللهِ هو محبته لما يحب الله. ورضاه بما يرضي الله، وعمله بذلك كله، وميله إليه على وجه الملازمية

(١) الولاء والبراء (٨٧ - ٨٨).

لـ^(١).

تعريف البراء لغة:

يطلق على معانٍ كثيرة منها البعد، والتنزه، والتخلص، والعداوة.

قال ابن العربي:

برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أُعذِر وأُنذِر،
ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: ١].

وليلة البراءة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من
الشهر^(٢).

تعريف البراء شرعاً:

هو موافقة العبد ربِّه فيما يسخنه ويكرهه ولا يرضاه من
الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة البراء الشرعي هو
بغض ما يبغضه الله على وجه الملازمة، والاستمرار على ذلك^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"الولادة ضد العداوة، وأصل الولادة المحبة والقرب، وأصل
العداوة: البغض والبعد، ... والوالي: القريب، فيقال: هذا يلي هذا:
أي يقرب منه، ومنه قوله ﷺ: «أَلْحَقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا

(١) المدخل (١٩١).

(٢) الولاء والبراء.

(٣) المدخل (١٩١).

أبْقَتْ فَلَأْوَى رَجُلْ ذَكْرِ» متفق عليه ^(١).

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ:

"وأصل المولاة الحب، وأصل المعاادة البغض، وينشأ عنهمما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة المولاة والمعاادة، كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك من الأعمال والولي ضد العدو" ^(٢).

منزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع

لهذه العقيدة مكانة عظيمة في الشرع تتضح من الوجوه التالية:

١ - أنها جزء من معنى الشهادة، وهو قوله: "لا إله" من قوله: "لا إله إلا الله" فإن معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله.

٢ - أنها شرط في الإيمان كما قال — سبحانه — : ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبَسْنَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨١].

(١) الولاء والبراء (١٢).

(٢) نوافض الإيمان (٣٦٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية:

"فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف "لو" التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط". فقال: " ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء" ، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويسأده، لا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخاذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي، وما أنزل إليه^(١)

٣- أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان، لما رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله».

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب:

"فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متتفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغض، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٤- أنها سبب لتذوق القلب حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، لما جاء عنه ﷺ أنه قال: «ثلاث من وجد هن وجد حلاوة الإيمان: أن

(١) المدخل (١٩٢).

يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه^(١).

٥- أنها الصلة التي على أساسها يقوم المجتمع المسلم كما قال ﷺ: «أَحَبُّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ» وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]^(٢).

٦- ما ثبت من الأجر لمن اتصف بالحب في الله فقال ﷺ فيما يرويه عن ربه «المتحابون في الله منابر من نور يوم القيمة». وقال ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله». ذكر منهم: «رجال تحابا في الله اجتمعوا عليه وافترقا عليه»^(٣).

٧- ما دل عليه الشرع من تقسم هذه الصلة على سواها كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ﴾ [سورة التوبه: ٢٤]^(٤).

٨- أنه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولادة الله، لما روى ابن حرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولادة الله بذلك»^(٥).

٩- أن هذه العقيدة هي الصلة الباقية بين الناس يوم القيمة كما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المدخل (١٩٢).

(٥) المصدر السابق.

الْعَذَابَ وَتَقْطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ [سورة البقرة: ١٦٦] قال ابن عباس رضي الله عنهمما في قوله ﴿وَتَقْطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ قال: المودة.

١٠ - أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة: ٥١] (١).

١١ - كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها، يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم — أي الولاء والبراء — بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده".

١٢ - النظر إلى ثمرات الحاصلة بالقيام بهذه العقيدة ومنها:

أ- تحقيق أو ثق عرى الإيمان، والفوز بمرضاة الله الغفور الرحيم، والنجاة من سخط الجبار - حل جلاله - ، كما قال - سبحانه - : ﴿لَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبَسْنَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُو هُمْ أُولَيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيات: ٨١ ، ٨٠].

ب- ومن ثمرات القيام بالولاء والبراء: السلامة من الفتنة... قال - سبحانه - : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧٣].

(١) المصدر السابق

يقول ابن كثير: "أي إن بجانبوا المشركين، وثوالوا المؤمنين، وإنما وقعت فتنة في الناس، وهو التباس واحتلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل" ^(١).

ج- ومن ثمرات تحقيق هذا الأصل: حصول النعم والخيرات في الدنيا، والثناء الحسن في الدارين، كما قال أحد أهل العلم: "وتأمل قوله - تعالى - في حق إبراهيم - عليه السلام - : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَهَبَنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهَا﴾ [سورة مريم، الآيات: ٤٩ - ٥٠].

فهذا ظاهر أن اعتزال الكفار سبب لهذه النعم كلها، ولهذا الثناء الجميل - إلى أن قال - فاعلم أن في اعتزال أعداء الله - تعالى - والتجنب عنهم صلاح الدنيا والآخرة، يدل على ذلك قوله - تعالى - : ﴿وَلَا ترْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٣].

وهذا أمر مشاهد معلوم، فأعلام هذه الأمة من حققوا هذا الأصل قوله وعملا، لازلنا نترحم عليهم، ونذكرهم بالخير، ولا يزال لهم لسان صدق في العالمين... فضلا عن نصر الله - تعالى - لهم، والعاقبة لهم.

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣١٦.

(٢) من كتاب منهاج الصواب في قبح استكثار أهل الكتاب ص ٥٢. وانظر: أصوات البيان للشنقيطي ٢/٤٨٥.

فانظر مثلا: إلى موقف الصديق — رضي الله عنه — من المرتدين، ومانعي الزكاة... عندما حقق هذا الأصل فيهم، فنصره الله عليهم، وأظهر الله — تعالى — بسببه الدين، وهذا إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل — رحمه الله — يقف موقفا شجاعا أمام المبتدعة في فتنة القول بخلق القرآن، فلا يُداهِن، ولا يتنازل، فنصر الله به مذهب أهل السنة، وأخزى المخالفين.

وهذا صلاح الدين الأيوبي — رحمه الله — يجاهد الصليبيين، تحقيقا لهذا الأصل، فينصره الله — تعالى — عليهم ويكتب القوم الكافرين، والأمثلة كثيرة. فيجب على الدعاة إلى الله — تعالى — أن يتحققوا هذا الأصل في أنفسهم اعتقدا، وقولا، وعملا، وأن تقدم البرامج الجادة — للمدعويين — من أجل تحقيق عقيدة الولاء والبراء، ولو ازماها. وذلك من خلال ربط الأمة بكتاب الله — تعالى —، والسيرة النبوية، وقراءة كتب التاريخ، واستعراض تاريخ الصراع بين أهل الإيمان والكفر في القديم والحديث، والكشف عن مكائد الأعداء، ومكرهم "المنظم" في سبيل القضاء على هذه الأمة ودينها، والقيام بأنشطة عملية في سبيل تحقيق الولاء والبراء: الإنفاق في سبيل الله، والتواصل، واللقاء مع الدعاة من أهل السنة في مختلف الأماكن، ومتابعة أخبارهم، ونحو ذلك^(١).

* * * *

(١) من كتاب مباحث في الاعتقاد (٥٥) نصا.

الفصل الثاني

عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء

الولاء والبراء واجب شرعاً، بل هو من لوازم الشهادة وشرط من شروطها.

قال تعالى: ﴿ثُرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبَئِسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَنْخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيتين: ٨٠ - ٨١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية: "فذكر حملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط، وجد المشرط بحرف "لو" التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشرط، فقال: "لو كانوا يؤمّنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء" فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويُضاده، ولا يجتمع الإيمان والتخاذم أولياء في القلب. ودل ذلك على أن من اتخاذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه"^(١) وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» متفق عليه.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "على المؤمن أن

(١) الإيمان (١٣ - ١٤).

يعادي في الله ويولي في الله، فإن كان هناك مؤمن من فعليه أن يولييه — وإن ظلمه — فإن الظلم لا يقطع المولاة الإيمانية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٩]. فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغى، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتذر المؤمن: أن المؤمن تحب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تحب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك. فإن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من المولاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقه، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ^(١).

يقول الشيخ حمد بن عتيق: "فأما معاداة الكفار والمركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكده إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وحوب التوحيد ونحرهم

(١) الولاء والبراء (١٣٤).

ضدھ (١).

فالولاء للمؤمنين بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصر لهم، والدعاء لهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم وإعانتهم، والرحمة بهم وغير ذلك (٢). والبراءة من الكفار تكون بغضهم — دينًا — ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبيه بهم وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسانان ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله (٣).

الناس بالنسبة للولاء والبراء على ثلاثة أقسام

أولاً: من يستحق الولاء المطلق: وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وقاموا بشعائر الإسلام من القيام بالواجبات واجتناب المحرمات، مخلصين لله الدين.

ثانياً: من يستحق الولاء من جهة، ويستحق البراء من جهة أخرى: فهو المسلم العاصي الذي يهمل في بعض الواجبات، ويفعل بعض المحرمات التي لا يصل ترتكها إلى الكفر الأكبر، لما رواه البخاري أن عبد الله بن حمار كان يشرب الخمر فأتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنـه رجل وقال: وما أكثر ما يؤتي بك، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنـه فإنه يحب الله ورسوله».

ثالثاً: من يستحق البراء مطلقاً: وهو المشرك والكافر، سواء

(١) نوافض الإيمان (٣٥٩).

(٢) نوافض الإيمان (٣٦٠).

(٣) نوافض الإيمان (٣٦٧).

كان يهودياً أو نصرانياً أو محسيناً أو غير ذلك. وهذا الحكم فيمن فعل مكراً من المسلمين اقتضى رده، من دعاء غير الله، أو الاستغاثة بغيره، أو التوكل على غيره، أو ترك الصلاة المفروضة، أو أنكر وجود الله، أو سبه أو سب رسوله أو دينه ونحو ذلك^(١).

كيف غرست هذه العقيدة في النفوس

أولاً: في العهد المكي:

اختار رسول الله ﷺ دار الأرقام لتلقين من آمن معه أوامر هذا الدين، فكانت هذه الدار هي الملتقى الأول لأولئك القادة العظام، كانت هي الدار التي بدأ يشع منها ذكر الله وتوحيده في الأرض.

فكانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضرها في إسلامه، ونشأت عن هذه العزلة، عزلة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية أيضاً.

وأخذ القرآن ينزل حسب النوازل والحوادث على ما يشاء الله سبحانه وتعالى لتنمية الأمة على أسس العقيدة، فكان الولاء والبراء يزيد كلما ازدادت التكاليف. وكان من الطرق التي سلكها القرآن في عرض هذه العقيدة ضرب المثل.

قال تعالى: ﴿لَمَّا كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤١].

(١) المدخل لدراسة العقيدة (١٩٥).

وبتقرير هذه الحقيقة في النفوس كان المؤمنون أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقهم، وداسوا بها على كربلاء الجبارية في الأرض، ودكوا بها المعاقل والمحصون... إن قوة الله وحدها هي القوة وولاية الله وحدها هي الولاية وما عدتها فهو واهن ضئيل هزيل، مهما علا واستطاع ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل ^(١) مكث رسول الله ﷺ في دعوته للناس بالسر ثلاث سنوات وبعد أن فشا ذكر الإسلام في مكة، وتحدث الناس به أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادئ الناس بأمره، وأن يدعو إليه.

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وهنا بدأ الابلاء للMuslimين فماذا فعلوا؟

إنه الصبر على الأذى والهجر الجميل.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية: ١٠] كان رسول الله ﷺ يأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل، وقهر النفس مع أنهم قوم قد رضعوا حب الحرب، وكأنهم ولدوا مع السيف، وهم أمة من أيامها حرب البسوس وداحس والغبراء. وما حرب الفجار بعيد!!

لكن الرسول ﷺ قهر طباعهم الحربية، وكبح نخوةهم العربية

(١) في ظلال القرآن، نقلًا من كتاب الولاء والبراء (١٦٣).

فانقهروا لأمره وكفوا أيديهم وتحملوا من قريش ما تسيل منه النفوس، في غير جبن وفي غير عجز.

بعد الأمر بالصبر والهجر الجميل يذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بفعل أبيهم إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليأخذوا منه أسوة وقدوة فيقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ - ٢٨].

وإلى جانب هذا التذكير الرباني، يضرب أيضاً المثل المحسوس والملموس في حياة الناس لمن يوزع ولاعه بين أرباب متفرقة، ومن يكون ولاؤه لرب واحد، واتجاه واحد.

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٩]. فقد وضح الله في هذا المثال القرآني حال المشرك الذي لا يؤمن بالله ولا يكون ولاؤه وحبه لله وفي الله بحال العبد الذي تملكه جماعة مشتركون في خدمته لهم لا يمكنه إرضاؤهم أجمعين. وحال الموحد الذي يعبد الله وحده ويوالي في الله وحده، مثله كمثل عبد مالك واحد قد سلم وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تناهى الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه، مع رأفة مالكه به ورحمته به وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليته لمصالحة، فهل يستوي هذان العبدان؟ لا، إنهمما

لا يستويان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٥].

وعلى طريقة القرآن في اهتمامه بقضية اليوم الآخر لما لها من أثر عظيم في قضية الإيمان، تجد القرآن الكريم يسوق مشهدا من مشاهد يوم القيمة لمن يكون ولاؤه لغير الله وكيف انقلب هذا الولاء إلى عداء وبغض، ثم كيف أصبحت الخلة عداوة وشحناه. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّا نَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢٩].

وقال: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٦٧].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَتَحَدَّثُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان: الآيات: ٢٧ - ٢٩].

ثم جاء التصريح الكامل لأعداء الله بأن دينكم باطل لا ندخل فيه، وديننا هو الحق الذي ندين الله به. فلا نعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما نعبد ﴿فُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهم: ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس منها أي سورة الكافرون. لأنها توحيد وبراءة من

الشرك.

قال الأصمسي: كان يقال "قل يا أيها الكافرون" و "قل هو الله أحد" المشقشقتان. أي أنهما تبرئان من النفاق. هذا بالنسبة لوقف المسلمين من أعدائهم.

أما ولاؤهم فيما بينهم، فنقول: إن المصطفى ﷺ قد حرص على غرس ركيزتين أساسيتين في نفوسهم هما:

- ١ - الإيمان بالله. ذلك الإيمان المنبع من معرفته سبحانه، وتمثل صفاته في الضمائر وتقواه، ومراقبته، مع اليقظة والحساسية التي بلغت في نفوسهم حدا غير معهود إلا في النادر من الأحوال.
- ٢ - الحب الفياض. والتكافل الجاد العميق، حيث بلغت فيه الجماعة المسلمة مبلغاً لولا أنه وقع بالفعل بعد من أحلام الحالين^(١).

ثانياً: في العهد المدني:

لما أراد الله إظهار دينه، وإعزاز عبده ورسوله محمد ﷺ ومن معه، أمره بالهجرة لتكون مبدأ فاصلاً بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ في المدينة هو بناء المسجد لينطلق منه النداء الرباني "الله أكبير الله أكبير" ولن يكون هذا المسجد الطاهر هو الملتقي التربوي للأمة الإسلامية يتلقون فيه وحي الله عن رسول الله، ويتعلمون أمور دينهم، وهذا المسجد أيضاً هو مكان القيادة العسكرية الإسلامية التي انطلقت

(١) الولاء والبراء (١٥٩) بتصريف.

للجهاد في سبيل الله، بعد ذلك آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المسئولية والمواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعت بدر، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٦]. رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

فكانت هذه المؤاخاة هي الركيزة الأساسية في تكوين مفهوم الأمة المسلمة، أمة التقت على العقيدة في الله، وعاشت لأجل تلك العقيدة وليس لرابطة الدم أو الحسب والنسب، أو الأرض أو اللون أو اللغة، أو الجنس ^(١).

أصبح المؤمنون أولياء بعضهم البعض، كل منهم يحب أخاه كحبه لنفسه، ويناصره ويعاونه من أجله، ويؤثره على كل قريب وحبيب من مال وأهل أو عشيرة أو ولد ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبه، الآية: ٧١].

أما من ناحية البراء فقد انطلق المؤمنون في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، والضرب على يد أعداء الله بقوه لا تعرف الضعف، وعزيمة لا تعرف الوهن. من هنا كان الجهاد في سبيل الله هو أبرز سمات هذا العهد الزاهد، وهو أول صورة من صور البراء والمفاسدة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في العهد المدیني وبعد الهجرة

(١) الولاء والبراء (٨٩) بتصرف.

النبوية، والجهاد وجه جديد من وجوه الثبات على العقيدة، واحتمال المشقات والأذى في سبيل النزود عنها من الأعداء. إن الجهاد في الإسلام. هدفه أن يعبد الله وحده في الأرض، وأن تهيمن شريعته، ويتحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن تأليه البشر إلى ألوهية الواحد الأحد.

ومن هدف الجهاد أيضاً إنقاذ المستضعفين في الأرض.

تفصيل صور البراء من كل طائفة

وَكِيفِيَّةُ جَهَادِ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ

١- صور البراء من المشركين:

بعد أن قامت الدولة المسلمة في المدينة، كان لابد من احتثاث شجرة الشرك في مكة وغيرها وقد نزلت سورة التوبة بقتال المشركين.

يقول ابن القيم في زاد المعاد: ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكتف عن اعتزله ولم يقاتلته، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة وأهل حرب وأهل ذمة وأمره بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفى لهم ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل من

نقض عهده ^(١).

ولما نزلت "سورة براءة" نزلت بيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجاهدة الكفار والمنافقين والغلاطة عليهم، فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجارة واللسان.

٢ - منعهم من دخول المسجد الحرام.

٣ - منع النكاح بالمسرّكات.

٤ - منع إقامة المسلم في دار المشرك.

البراء من أهل الكتاب:

نجد أن الآيات أخذت تنزل في تقرير أهل الكتاب والتنديد بهم وفضح مخازينهم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَكُفُّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمَ تَلِسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ٧٠ - ٧١].

إلى غيرها من الآيات الفاضحة لهم، ثم يأتي النص القرآني للرسول ﷺ وللمؤمنين من ورائه. بأن يقولوا لأهل الكتاب أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا شرع الله ويحكموا كتابه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا الْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

(١) زاد المعاد (١٥٩).

طُغِيَّاً وَكُفَّارًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٨].

وهذه الآية الكريمة من أعظم ما بين صورة البراء من أهل الكتاب. ولقد كان جهاد المصطفى ﷺ وأصحابه لأهل الكتاب - بين قينقاع وبني قريظة وبني النضير - صورة واضحة في مفاصلتهم وجهادهم والبراءة منهم.

البراء من المنافقين:

مفاصلة المنافقين والبراءة منهم تؤخذ من هدي رسول الله ﷺ معهم، وفي ذلك يقول العالمة ابن القيم:

(وأما سيرته ﷺ في المنافقين: فغنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحججة. وأمره أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يصلّي عليهم وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم).

ومن أبرز صور البراء منهم ما يلي:

- ١ - الإعراض عنهم والغلوظة عليهم.
- ٢ - النهي عن الصلاة عليهم أو القيام على قبورهم.
- ٣ - لا يقبل لهم عذر في التخلف عن الجهاد، ومن ثم عدم قبولهم فيه مرة أخرى.
- ٤ - عدم الاستغفار لهم.

٥- قطع المولاة مع الأقارب إذا كانوا معادين لله ولرسوله.

خلاصة القول:

إن الولاء والبراء قد أكتملت صورته الحقيقة في العهد المدنى حيث قامت دولة الإسلام الراسدة وأصبحت الأخوة الإيمانية فيها هي الرابطة الحقيقة، ودونها تهدر كل رابطة. وشرع الجهاد للكفار والمرشكين ومن نقض عهده، وجاء الأمر بالغلظة على المنافقين والإعراض عنهم. وحصلت البراءة من كل قريب لا يؤمن بالله ورسوله ولا يدين دين الحق ولو كان أباً أو أخاً أو غير ذلك مما تعارف الناس عليه أنه رابطة.

التربية الحمدية تؤتي ثمارها:

ظهرت ثمار التربية الحمدية في رجال تربوا على يد القائد الأول للأمة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث غرس هذه العقيدة في نفوسهم فترجموا هذا الغرس بأعمال قاموا بها لو لا أنها وقعت ونقلت إلينا من ثقات لقلنا هي من نسج الخيال.

يروي لنا الإمام ابن إسحاق بعض أحداث غزوة أحد فيقول: وترس دون رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أبو دجانة بنفسه، ويقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل. وفي رواية أخرى: "وهو لا يتحرك" الله أكبر ما الذي جعل أبا دجانة رضي الله عنه يترس دون الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه بنفسه، ينحني عليه، ويصير على النبل الذي يقع في ظهره، ولا يتحرك؟ إنه الولاء، إنه الحب الصادق للحبيب الكريم

المصطفى عليه الصلاة والسلام^(١).

وإن تعجب فاعجب من موقف أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه حيث قتل أباه في معركة بدر لأنه كان كافرا محاربا لله ولرسوله، ولم تكن صلة الأبوة لتمنعه دون تنفيذه الولاء والنصرة لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين^(٢).

و تلك امرأة من بني دينار تقابل الجيش الإسلامي بعد قدومه من معركة أحد، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها، فلما نعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خير يا أم فلان، هو بحمد الله كما تجدين، قالت، أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير إليها حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعده جلل^(٣).

* * * *

(١) حب النبي ﷺ.

(٢) الولاء والبراء (٣٨٥).

(٣) الرحيق المختوم (٢٧١).

أحكام الولاء والبراء كثيرة غير مخصوصة،
وفي كل زمان قد تبرز من مظاهر الولاء والبراء ما يحتاج
لبيان حكمه واستفادته من أدلة الشرع
وسأ تعرض هنا لأبرزها وهي:

- ١- أحكام موافقة الكفار والتشبه بهم.
- ٢- أحكام السفر إلى بلاد الكفار.
- ٣- حكم التعامل مع الكفار.

٤- الفرق بين عقيدة الموالاة وحسن المعاملة.

١- أحكام موافقة الكفار والتشبه بهم:

للمسلم في موافقته للكفار ثلاث حالات:

الأولى: الموافقة لهم في الظاهر والباطن فهذا كفر مخرج عن ملة
الإسلام.

ثانياً: الموافقة في الباطن دون الظاهر فهذا أيضاً كفر مخرج عن
الملة إجماعاً، لأن نفاق عقدي أكبر وهو مخرج عن ملة الإسلام.

ثالثاً: الموافقة في الظاهر دون الباطن وهي على نوعين:

النوع الأول: أن تكون الموافقة في الظاهر بسبب الإكراه
بالضرب والقتل والتعذيب بالفعل، لا ب مجرد التهديد، ففي هذه
الحالة لا يكفر مادامت الموافق باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان
كما قال سبحانه: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ**

مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ [سورة التحل، الآية: ٦٠].

والنوع الثاني: أن يوافقهم في ظاهره مع مخالفتهم في الباطن لغرض دنيوي، كحب رياضة، وطعم في جاه و منزلة، ونحو ذلك. وقد اختلف العلماء في كفر من كان هذا حاله على قولين:

القول الأول: أنه يكفر الكفر المخرج عن الملة لظاهر قوله سبحانه: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْجَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** [سورة النحل، الآية: ٦١] فسماهم كافرين لتقديمهم الدنيا على الدين.

القول الثاني: أنه لا يكفر كفرا مخرجا عن الملة، بل كفرا أصغر، وهو كبيرة من الكبائر، وبناء هذا القول وهو الفرق بين الموالاة والتولى فهو من قبيل التولي، فلا يكون كفرا أكبر ^(١).

ولقد حرص الإسلام على تميز المسلمين ليس في المضمون فحسب وإنما حتى في المظاهر العام للMuslim في نفسه وللمجتمع الإسلامي في عمومه.

ولذلك كان النهي عن التشبه بالكفار أحد التكاليف الربانية لهذه العقيدة.

وقد حفل الكتاب والسنة بأدلة كثيرة حول هذه القضية. لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث التشبه بهم في العقيدة، أو مودتهم، ومسايرتهم وموافقتهم على هواهم مما يحدث التميع في حياة المسلم

(١) المدخل (٢٨).

ويجعله إمعة يتبع كل ناعق والله يريد له العزة والكرامة. وتحتاج العالم الإسلامي اليوم موجة من التبعة الجارفة في كل شيء، ومن ذلك التشبه بالغرب الكافر من قبل ضعاف الإيمان الذين يرون أن ذلك الفعل هو سبيل التقدم والرقي !

وفي هذا يقول الأستاذ محمد أسد:

إن السطحيين من الناس فقط ليستطعون أن يعتقدوا أنه من الممكن تقليد مدنية ما في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا في الوقت بروحها.

يقول الشيخ عبد الله الطريقي:

لو أذن الإسلام بالأخذ عن العدو كل شيء ومتابعته فيما يريد والتشبه به، لتلاشت معالم الإسلام وأحكامه، ولذابت شخصية المسلمين، وحسبك واقع المسلمين في كثير من البلدان الإسلامية.

ولهذا جاء الأمر بالتزام الصراط المستقيم والنهي عن سلوك السبيل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

وحاءت الأوامر الشرعية المتعددة في مخالفة أهل الكتاب والمرجعيين. منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَأَيْنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٠].

وبسب نزول هذه الآية أن اليهود كانوا إذا أرادوا أن يقولوا للرسول ﷺ "اسمع لنا" يقولون راعنا، ويورون بالرعونة وهي الحمق، فجراهم بعض المسلمين في ترديد هذه الكلمة، فنهاهم عن التشبيه بهم في هذه الأقوال.

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد، وصححه ابن ماجة. وهذا نهي عن التشبيه بهم مطلقا.

وحاء بالأمر بالمخالفة في الأعمال الظاهرة في أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصيغون فخالفوهم» متفق عليه.

ما بين التشبيه والولاء من علاقة

إن الشرع ما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه، وما ترك شرا إلا حذر الأمة منه. وحين أمر الشرع الحكيم بمخالفة الكفار – في الهدي الظاهر. فإن ذلك لحكم جليلة منها:

١ - إن المشاركة في الهدي الظاهر: تورث تناسبا وتشابكا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب الجندي المقاتلة – مثلا – يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقيهم، ويصير طبعه مقتضيا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

٢ - إن المخالفة في الهدي الظاهر: توجب مبادنة ومقارنة وتوجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال. والانعطف إلى أهل الهدي والرضوان، وتحقق ما قطع الله من المولاة

بين جنده المغلحين وأعدائه الخاسرين.

٣- إن مشاركتهم في المهدى الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهدى والمريضين، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمه.

هذا إذا لم يكن ذلك المهدى الظاهر إلا مباحاً محسناً، لو تجرد عن مشابهتهم. فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم. وهذا أصل ينبغي أن يتفضل عليه^(١).

السفر إلى بلاد الكفار والإقامة فيها:

للسفر والإقامة في بلاد الكفار حكمان:

أحدهما: جائز. والثاني: محرم.

فاجائز له ثلاث حالات:

الحالة الأولى:

السفر والإقامة لغرض الدعوة إلى الله مع الأمان على الدين، والقدرة على الجهر بشعائر الإسلام بلا معارضة في شيء منها، وأن يكون قادراً على الولاء والبراء. ومن هذه ما هو مستحب كالسفر للجهاد في سبيل الله.

الحالة الثانية:

(١) الولاء والبراء (٣٣).

السفر من أجل التجارة وهو عارف بدينه، آمن عليه، قادر على الجهر بشعائره، قادر على الولاء والبراء.

الحالة الثالثة:

المستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين لا يملكون المиграة ولا يستطيعونها. ومنها المسلم في بلاد الكفار الذي تحول دون هجرته الظروف السياسية والجغرافية.

والحكم الثاني وهو التحرير وله حالتان:

الحالة الأولى:

أن يسافر لغرض دنيوي ولكنه آمن من الفتنة عالم بدينه لكن لا يستطيع الجهر بالشعائر على سبيل الكمال وعدم المعارضة فهذه كبيرة من كبائر الذنوب.

الحالة الثانية:

سفر إلى بلاد الكفار موالة لهم، واستحساناً لما هم عليه، فهو كافر الكفر الأكبر المخرج عن ملة الإسلام لظاهر قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥١].^(١)

السفر من أجل التنزه:

إن المعصية إذا جاءت باسم المعصية، واعترف صاحبها بالتقصير فيها، أهون من أن تأتي باسم غير اسم المعصية، يحملها ويزينها. وإن

(١) المدخل (٢٠٨).

الناظر إلى الصحف والمجلات العربية، فضلاً عن الأجنبية، يرى فيها دعوة صريحة خفية، إلى الفجور والفاحشة والخمور. صريحة بأنها سياحة وتفرج وتغيير جو. ولكنها خفية في مغزاها^(١).

فليت المسلم الله في أهله وأولاده، بل وفي دينه، فإن النظرة تجلب الخطرة، والخطرة توقع في الفكرة وال فكرة توقع في المعصية وقد اشترط العلماء لجواز السفر إلى بلاد الكفر ثلاثة شروط:

١ - أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

٢ - أن يكون عنده دين يدفع به الشهوات.

٣ - أن يكون محتاجاً إلى ذلك، كعلاج، أو طلب علم لا يوجد في بلاد الإسلام فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار.

وأما السفر للسياحة إلى بلاد الكفار، فهذا ليس بضرورة، وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلهما على شعائر الإسلام^(٢).

* * * *

٢ - حكم التعامل مع الكفار

١ - تجوز المعاوضة معهم في عقود البيع والإجارة ونحوها ما دامت المعاوضة والمنفعة والعين مباحة شرعاً، وأما ما كان العوض

(١) أحكام السفر.

(٢) أحكام السفر.

فيه حرم ما كالخمر ولحم الخنزير، والمنفعة غير مباحة كالفوائد الربوية، والعين غير مباحة كالعنب ليتخد حمرا، أو ملك العين أو إجارتها لأمر حرم، فذلك حرم شرعا، أو ما يستعين به أهل الحرب منهم على المسلمين.

٢- ويجوز وقفهم أي الكفار على أنفسهم أو غيرهم إذا كان في جهة يجوز الوقف فيها للMuslimين، كالصدقة على القراء، وإصلاح الطرق، وإن وقف على ولده بشرط كفرهم بحيث لو أسلمو لم يستحق أولاده شيئا حرم إمضاء وقفه، وإن وقفوا على كنائسهم ومعابدهم حرم ذلك ولم يجز إمضاؤه قضاء لأن في ذلك إعانة لهم على كفرهم.

٣- يصح نكاح المسلم للكتابية اليهودية والنصرانية ولا يصح نكاح المسلمة للكتابي، هذا ويرى بعض أهل العلم حرمة نكاح الكتابية إذا ترتب عليه مفسدة من فتنة المسلم في دينه ونحو ذلك.

٤- يجوز إدانتهم والاستدانة منهم، وتوثيق ديونهم بالرهن.

٥- يجوز تجارة الكفار في بلاد المسلمين فيما هو مباح شرعا، ويؤخذ عشرها خراجا يصرف في المصارف العامة للمسلمين.

٦- تؤخذ الجزية من الكتابي في مقابل حمايته.

٧- في حالة عجز الكتابي عن دفع الجزية تسقط عنه.

-٨ يحرم السماح لهم ببناء الكنائس في بلاد المسلمين وما دخل المسلمون بلادهم وهو قائم فيها لا يهدم، لكن يحرم السماح بتجديده بنائه إذا هدم.

-٩ يرفع عنهم الحد فيما اعتقادوا حله في دينهم، لكن يحرم جهراً به.

-١٠ تقام عليهم الحدود فيما اعتقادوا حرمته في دينهم.

-١١ لا يؤذى الذمي والمعاهد في ديار المسلمين مادام قائماً بحق ذمته وعهده.

-١٢ يجوز مصالحتهم إذا كان ذلك يحقق مصلحة عامة للMuslimين، وأرى ولي الأمر الصلح معهم كما قال سبحانه وَإِنْ جَنَحُوا لِلسلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا [الأنفال، الآية: ٦١] لكن يجب يكون الصلح مؤقتاً لا مطلقاً.

-١٣ حرمة دم المعاهد والذمي، وماله، وعرضه.

-١٤ لا يقاتلون إذا كانوا حربين إلا بعد إنذارهم.

-١٥ من لم يشارك في المعركة بنفسه أو رأيه أو تخطيطه فلا يتعرض له، كالصبيان والنساء، والراهب في صومعته، والشيخ الفاني، والعجوز، والمريض ونحو ذلك.

-١٦ من هرب من مقاتلتهم فلا يجهز عليه، ويكون ما تركه فيها.

-١٧ إذا رأى ولي الأمر إقرارهم على ما أيديهم من الأرض

جاء ذلك، ويدفعون الخراج وتكون أرضهم أرضاً خراجية، فإن أبوا سلمت لل المسلمين لعمارتها هذا إذا فتحت أرضهم قهراً بحرب لأنها في حكم الغنيمة.

١٨ - يجوز استرافق الكفار وسبفهم إذا كانوا حربين، ولم يكن بيننا وبينهم صلح ^(١).

١٩ - حكم عيادتهم وتهنتهم:

روى البخاري في كتاب الجنائز عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبي القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وروي أيضاً: قصة أبي طالب حين حضرته الوفاة فزاره النبي ﷺ وعرض عليه الإسلام.

قال ابن بطال: إنما تشرع عيادته إذا رجى أن يجتب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا. قال ابن حجر: والذي يظهر: أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى.

أما تهنتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق، وذلك مثل أن يهنتهم بأعيادهم فيقول: عيدك مبارك، أو تهناً بهذا العيد،

(١) المدخل (٢٠٩) بتصرف.

فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو منزلة أن يهنته سجوده للصلب، بل ذلك أعظم إثما عند الله، وأشد مقتا من التهنة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الزنا ونحوه.

وكثر من لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدرى قبح ما فعل. فمن هنا بمعصية، أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه. وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون هنئة الظلمة بالولايات، ونكبة الجهال. منصب القضاء والتدريس والإفتاء تجنبها لمقت الله وسقوطهم من عينه، وإن بلي الرجل فتعاطاه دفعا لشر يتوقعه منهم فمسي إليهم ولم يقل إلا خيرا ودعائهم بال توفيق والسديد فلا بأس بذلك.

ويدخل في هذا أيضا: تعظيمهم ومخاطبتهم بالسيد والمولى وذلك حرام قطعا، ففي الحديث المروي: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا فقد أستخطتم ربكم عز وجل».

ولا يجوز أيضا تلقيهم — كما يقول ابن القيم — عز الدولة أو فلان السديد، أو الرشيد أو الصالح ونحو ذلك. ومن تسمى بشيء من هذه الأسماء لم يجز للMuslim أن يدعوه بها، بل إن كان نصرانيا قال: يا نصراني، يا صليبي، ويقال لليهودي، يا يهودي.

ثم قال ابن القيم بالنص:

".... وأمااليوم فقد وفقنا إلى زمان يصدرون في المجالس، ويقام لهم وتقبل أيديهم ويتحكمون في أرزاق الجناد، والأموال السلطانية، ويكتون بأبي العلاء، وأبي الفضل، وأبي الطيب،

ويسمون حسنا وحسينا وعثمان وعليا! وقد كانت أسماؤهم من قبل: يوحنا ومتي وجرجس وبطرس وعزرا وأشعيا، وحزقيل وحبي، ولكل زمان دولة ورجال".

وإذا كان هذا كلام العلامة ابن القيم وهو المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله. فلينظر المسلم اليوم إلى هذا الغثاء الذي هو كغثاء السيل، يتسببون للإسلام وهم يتبعون أعداء الله في كل صغيرة وكبيرة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلوه، وليس تبعية لهم فحسب بل إنما تبعية بإعجاب وابهار! فما تر بأعدائنا مناسبة إلا وتهال عليهم من كل حدب وصوب بالتهنئة والتبريك ومعسول الأماني! ^(١)

٢٠ - حكم السلام عليكم:

اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام حين دعا أباه فأبى قال إبراهيم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٤٧].

فأما الجمهور فقالوا: المراد بسلامه المسالمة التي هي المشاركة لا التحية. وقال الطبرى: معناه: أمنة مني لك. وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام. وقال بعضهم في معنى تسليمه: هو تحية مفارق. وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها قيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ قال نعم. قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ

(١) الولاء والبراء (٣٦١).

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ [سورة المتحنة، الآية: ٨].

وقال: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ [سورة المتحنة، الآية: ٤].

وقال إبراهيم لأبيه سَلَامٌ عَلَيْكَ.

قال القرطبي: قلت: والأظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة وفي هذا الشأن حديثان: فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَبْدِعُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيْتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطِرُوهُ إِلَى أَضْيِقَهِ».

وفي "الصحيحين" عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحرت بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاق من المسلمين والشراكين عبدة الأوثان، واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمر عبد الله بن أبي أنفه برداه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ — الحديث — .

قال القرطبي:

"فال الأول: يفيد ترك السلام عليكم ابتداء، لأن ذلك إكرام والكافر ليس أهله. والثاني: يجوز ذلك. قال الطبرى: ولا يعارض ما رواه أسامة بحديث أبي هريرة، فإنه ليس أحدهما خلافا للآخر، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجها العموم، وخبر أسامة يبين أن

معناه الخصوص. قال التخعي: إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابدأ بالسلام.

فبان بهذا أن حديث أبي هريرة «لا تبدؤهم بالسلام» إذا كان لغير سبب يدعوكم على أن تبدؤوهם بالسلام من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم، أو حق صحبة أو جواز أو سفر.

قال الطبرى: قد روى عن السلف أئمماً كانوا يسلمون على أهل الكتاب وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه قال له علقة: يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أنه يبدؤوا بالسلام؟ قال: نعم. ولكن حق الصحابة.

وقال الأوزاعي: إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك. وروي عن الحسن البصري أنه قال: إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم.

قال ابن القيم: إن صاحب هذا الوجه — أي من أجاز ابتداءهم بالسلام — قال يقال له — السلام. فقط بدون ذكر الرحمة، وبلفظ الإفراد.

"أما رد السلام عليهم فاختفى في وجوبه: فالجمهور على وجوبه وهو الصواب. وقالت طائفة: لا يجب الرد عليهم كما لا يجب على أهل البدع والأولى والصواب الأول: والفرق: أنا مأمورون بمحرر أهل البدع تعزيراً لهم وتحذيراً منهم بخلاف أهل الذمة".

قلت: وما يرجح رأي الجمهور في وجوب الرد على أهل

الكتاب قوله ﷺ : «إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليكم. فقل وعليكم». قوله ﷺ «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»^(١).

* * * *

٣- الفرق بين عقيدة البراء وحسن المعاملة

يقع خلط ولبس عند البعض بين حسن المعاملة مع الكفار غير الحربيين والبراءة منهم، ويتبعين معرفة الفرق بينهما، فحسب التعامل معهم أمر، وأما بغضهم وعداوتهم فأمر آخر، وقد أجاد القرافي — في "الفروق" عندما فرق بينهما قائلاً:

"اعلم أن الله — تعالى — منع من التوedd لأهل الذمة، بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة المتحنة، الآية: ١]. فمنع المولاة والتودد، وقال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ﴾ [سورة المتحنة، الآية: ٨]. فلابد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التوedd والمولاة منهي عنهما... وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم، لأنهم في حوارنا، وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى — وذمة رسوله ﷺ —، ودين الإسلام، وقد حكى ابن حزم الإجماع — في مراتبه — على أن من كان في الذمة، وجاء أهل

(١) أبحاث في الاعتقاد (٦١).

الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح... فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتي أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبل ما نهى عنه في الآية، وغيرها. ويتصح ذلك بالمثل، فإخلاء المجالس لهم عند قدوتهم علينا، والقيام لهم حينئذ وبذاتهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلينا لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركتنا لأنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، فإن هذا من نوع ما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله — تعالى — وشعائر دينه، واحتقار أهله، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادما ولا أجيرا يؤمر عليه وينهى.

وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنة: فهو كالرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالتهم لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيمها، والدعاء لهم بالهدى، وأن يجعلوا من آل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم.

فجميع ما نفعله معهم من ذلك فليس على وجه التعظيم لهم، وتحقير أنفسنا بذلك ولا مصانعة لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا صلوات الله عليه ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من

أشد العصاة لربنا ومالكنا — عز وجل — ، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امثلاً لأمر ربنا....".

وأما ما يدعى مما يسمى زمالة الأديان والتي يراد بها إذهاب ما في نفس المسلم من العداء للكفر وأهله وعزته بالإسلام، فليس ذلك من حسن المعاملة، بل هو الذوبان في الكفر وأهله، وهو عين الموالاة للكفار كما قال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس، الآية: ٣٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

* * * *

الفصل الرابع

صورة الولاء والبراء في العصر الحاضر

لاشك أن العالم الإسلامي في العصور المتأخرة قد بلغ درجات الانحطاط والتخلف في كل شيء.

انحطاط في عقيدته حيث ترك ما عليه السلف الصالح وذهب إلى أحد خزعبلات وحواشي علم الكلام الدخيل والخوض في نقاشات بيزنطية لا تمت للواقع ولا تصلحه بأي حال بل تزيده فساداً واهيارات.

وانحطاط في التزامه بمقتضيات هذه العقيدة من الجهاد والتميز والعزّة، وتخلف في جميع الحالات العلمية وترك مكانة القيادة إلى ذلة التبعية والتقليل.

وما يؤكد ذلك قول الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله: إن بعض الأقطار تسمى نفسها إسلامية، تبيح للمبشرين من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والأمريكيين أن ينشئوا مدارس للتبشر بالدين المسيحي في بلادهم حتى تفتت أطفال المسلمين عن دينهم، بل إن بعض الأقطار منع تعليم الدين الإسلامي في المدارس الحكومية وأهمل دراسة التاريخ الإسلامي في الوقت الذي يركز فيه الاهتمام بتدريس تاريخ أوروبا، وتحجيم حضارتها وأنها هي قبلة الرقي والمدنية.

هذا على مستوى الحكومات، أما على مستوى الأفراد فكان على رأس من مثل انحطاط المسلمين في العصر الحاضر ما يسمى بعد الرحمن الكواكي: هذا الرجل يعتبر من أسبق الناس ظهورا في الدعوة إلى التفرقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وكان في ما قال في كتابه *أم القرى* "وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو مثل عمر بن الخطاب". عليه من الله ما يستحق.

أما محمد عبده: فكما يقول عنه الأستاذ غازي التوبة: قد تجاوز تعاونه مع الإنجليز المحتلين لمصر إلى التعاون مع الجواسيس المستشرين في إنجلترا نفسها هذا هو عمل الشيخ الذي نعت بمصلح العصر.

أما طه حسين: الذي يقول في كتابه *مستقبل الثقافة في مصر*:

لكن السبيل إلى ذلك. أي الرقي. ليست في الكلام يرسل إرسالا، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واسحة بينة ومستقيمة ليس فيها عوج ولا تواع، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ أَلَّا هُنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٠].

* * * *

الفصل الخامس

أسباب ضعف عقيدة الولاء والبراء

١- الانحراف العام عن الكتاب والسنة:

إن هذا الانحراف هو الأصل الجامع لكل انحراف وقع فيه المسلمون بعد، فكل الأسباب التي سأذكرها إنما هي أسباب تفصيلية لهذا السبب الأساسي.

فكتاب الله — القرآن — وسنة رسول الله ﷺ هما المصادران الأساسيةان للمنهج الإسلامي — ذلك المنهج الكامل الشامل للحياة البشرية، إنما أنزله الله إلى هذه الأرض ليواجهه الحياة البشرية ويحكمها وينظمها، ويقييمها على الحق والعدل، ويسيرها — بنور الله — إلى السعادة في الدنيا والآخرة، ويربطها بخالقها سبحانه.

وتعالى.

والسنة النبوية كذلك هي التطبيق والمدي العملي، المسلك المبين والشارح للقرآن الكريم يقول الرسول ﷺ : «قد تركتم على البيضاء ليلاها كنها رها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

فحين ترك المسلمون بل غالبيهم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونبذو هما وراءهم ظهريا، وقعوا في الذلة والعبودية والخزي، والهزائم العسكرية، والفكرية، والمعنوية، والتفرق والشتات والتناحر، والاختلاف، ومن ثم وقعوا في التبعية الولاء والتقليد الأعمى للكافرين والملحدين، كما هي حالمهم اليوم ولن يزالوا كذلك حتى يفيقوا إلى الله ويظهرروا دينه ويعلو كلمته، ويطبقوا الإسلام منهجاً لحياتهم، ويجاهدوا في سبيل الله حتى يكون الدين كله لله ^(١).

٢- ضعف التربية والتوجيه للأجيال الناشئة:

التربية والتوجيه هما الدعامتان الأساسية لإعداد الأجيال، وكل أمة من الأمم القوية إنما تربى أجيالها لتقوم بنهايتها وتقود حيالها على ضوء مبادئها، وأديانها، ومعتقداتها، وأهدافها، لا غير.

وكذلك كانت الأمة الإسلامية تربى أجيالها قرولاً طويلاً على الدين والخلق والفضيلة، والقوة والفتواه والإقدام، وإعدادها للجهاد وأعباء الحياة الصعبة، فكان شبابها ينطلقون من ساحات دور العلم

(١) التقليد والتبعية (٨٦).

وحلق العلم والذكر متسابقين إلى ساحات ومرابط "رباط" التغور، حيث كانت تلك تربيتهم وإعدادهم، حتى جاءت القرون المتأخرة، فتقلصت دور العلم وضمرت حلق الذكر والدراسة وقل شأن العلم والتربيـة، وقل التوجـيه السليم والإعداد القوي للأجيـال المـسلمة، فـظـهـرـتـ أـجيـالـ ضـعـيفـةـ لمـ تـرـبـ عـلـىـ القـوـةـ وـالـفـتوـةـ وـالـعـلـمـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ تـوـجـيـهـ مـنـ جـاءـ بـعـدـهـاـ مـنـ أـجيـالـ، فـأـصـبـيـتـ الـأـمـةـ إـلـيـسـلـامـيـةـ بـالـوـهـنـ وـالـأـنـزـامـيـةـ وـالـتـشـتـيـتـ.

إلى أن بـرـزـتـ نـتـائـجـ الـاـكـتـشـافـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـغـرـبـيـةـ وـبـدـائـعـ الصـنـاعـاتـ الـحـدـيـثـةـ وـمـظـاهـرـ الـحـيـاةـ الـأـوـرـوـبـيـةـ الـبـرـاقـةـ وـالـمـسـلـمـوـنـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـ فـانـبـهـرـتـ الـأـجيـالـ الـمـسـلـمـةـ، مـنـ مـظـاهـرـ الـحـيـاةـ الـجـدـيـدـةـ، حيث فقدـتـ التـرـبـيـةـ وـالـتـوـجـيـهـ الـلـذـيـنـ يـؤـهـلـهـاـ لـلـمـوـقـفـ الـإـيجـابـيـ أـمـامـ تـلـكـ الـمـظـاهـرـ، فـوـقـعـتـ فـيـ أـسـرـ التـقـلـيدـ وـالـاـنـبـهـارـ الـأـعـمـىـ شـرـ وـقـعـةـ، وـلـنـ تـخـرـجـ مـنـ هـذـاـ الـمـأـزـقـ إـلـاـ بـالـتـرـبـيـةـ وـالـتـوـجـيـهـ وـالـإـعـادـ إـلـيـسـلـامـيـةـ الـقـوـيـ (١ـ).

٣- التربية والتعليم:

الـعـلـمـ — كـمـاـ يـقـالـ — سـلاـحـ ذـوـ حـدـيـنـ، وـمـنـ هـذـاـ الـمـنـطـلـقـ أـدـرـكـ أـعـدـاءـ اللـهـ مـنـ جـمـيعـ الـكـفـارـ أـنـ صـخـرـةـ الـعـقـيـدـةـ إـلـيـسـلـامـيـةـ لـاـ يـمـكـنـ النـيـلـ مـنـهـاـ عـنـ طـرـيـقـ الـقـوـةـ وـالـسـلاـحـ فـهـيـ قـدـ أـدـمـتـهـمـ كـثـيرـاـ، وـلـاـ يـسـتـطـيـعـونـ الصـمـودـ أـمـامـ هـتـافـ الـمـجـاهـدـيـنـ الصـادـقـيـنـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ، وـلـذـلـكـ بـلـحـاـواـ إـلـىـ وـسـيـلـةـ أـخـرـىـ هـيـ أـخـبـثـ فـيـ التـأـثـيرـ وـأـشـدـ فـيـ

(١ـ) التـقـلـيدـ وـالـتـبـعـيـةـ (٨٦ـ).

الدهاء. وهذه الوسيلة هي غزو مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي بأفكار ونظريات وشبهات وشكوك يضفي عليها. كذبا وبهتانا. ثوب التجرد العلمي، والبحث العلمي !!

وسلك أعداء الإسلام في هذا سبيلين:

الأول: السيطرة على التعليم في الداخل.

الثاني: عن طريق الابتعاث إلى الدول الكافرة.

فأما الأمر الأول فيقول عنه القس زويمر: "... لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في المالك الإسلامية المستقلة، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي، أو التي يحكمها المسيحيون حكما مباشرا، ونشرنا في تلك الربع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تحوز الإشارة إليها، الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولا وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياته الإنسانية كلها. إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في المالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدمتم له كل التمهيد "إخراج المسلم من الإسلام" إنكم أعددتم نشئا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي: جاء النشاء الإسلامي طبقا لما أرده له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم

فللشهوات، وإذا جمع للشهوات، وإن تبواً أسمى المراکز ففي سبيل الشهوات يوجد بكل شيء".

أجل صدق هذا القس وهو كافر إن هناك جيلاً تربى على ثقافة الغرب فخرج لا يعرف الصلة بالله أبداً.

وحاء "دنلوب" المخرج من كلية اللاهوت البريطانية ليرسم سياسة التعليم في مصر، حيث وضع مناهج كفيلة بإخراج النماذج التي عنها القس زويمر "لا تعرف الصلة بالله" ومصداق ذلك إن درس الدين لا يدرس منه إلا نتف يسيرة مثل: إن الإسلام جاء ليبطل عبادة الأوثان ويعبد الله الواحد، ويحرم وأد البنات، وأستاذ هذه المادة يختار من أسن الأساتذة بمظهر رث، ثم تلغى مادة الدين في نهاية العام الدراسي ^(١):

أما مادة التاريخ فكان يخفي على الطالب فيها: أن الإسلام جاء ليحارب الشرك بكل مظاهره ويعطى نبذاً عن دراسة صدر الإسلام، وأن مهمة الإسلام تغيير ما كان عليه العرب في جاهليتهم ويركز فيه أيضاً على الجانب السياسي والصراع بين الطبقات الحاكمة. أما حياة المجتمع الإسلامي فلا شيء يذكر من ذلك.

و كذلك البطولات الإسلامية والحركات العلمية الإسلامية. كل ذلك يخفي عن الطلاب في الوقت الذي يدرس فيه بتوسيع تاريخ أوروبا ونهايتها ورجاها وأبطالها وأئمها بلد التقدم والرقي ومحبط المدنية لأن فيها فحماً وحديداً !!

(١) الولاء والبراء (٤٠٠).

وخلاله القول أنه كان يلقن الطلاب أن أوروبا هي العملاق الضخم الذي لا يقهر. والإسلام هو القزم الضئيل الذي عليه أن يتبعه لهذا العملاق ليعيش.

وأما السبيل الثاني: وهو الابتعاث إلى الخارج أي إلى الدول الكافرة فقد حقق هذا نتائج ترضي من خطط لها. ذلك أن هذا الابتعاث في الغالبية العظمى منه. يكسر صفة التميز بين المسلم والكافر، ويجعل ولاء المسلم متذبذباً وهو يرى ما يهرب به، ثم إنه يزيد الطالب جهالة بدينه وقيمه ومثله، ويزيد به تعلقاً بالغرب أو الشرق ويبدأ بتطبيعه بالطابع غير الإسلامي، ثم يصير هذا التطبيع — مع الزمن — طبعاً، ثم انسلاحاً من حيث يشعر الطالب أو لا يشعر فتجده في لبسه وأكله ومشربه وكلامه وطريقة تعامله، غربياً، أو شرقياً بل ربما أكثر من ذلك.

وكان من أوائل المبعوثين وأولهم سبقاً في خدمة ما أريد له: رفاعة الطهطاوي حيث مكث في فرنسا خمس سنوات من ١٨٢٦ — ١٨٣١ م ولما رجع بدأ ينشر كلاماً يسمع للمرة الأولى في البيئة الإسلامية مثل: الوطن والوطنية والاهتمام بالتاريخ القديم ليدعم به المفهوم الوطني الجديد، ثم يتحدث عن الحرية وأنها سبيل التقدم وكذلك طالب تقيين الشريعة على نسق المدونات القانونية الأوروبية، ثم يتحدث بكلام كثير وطويل عن المرأة كتعليمها ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق واحتلاط الجنسين.

إن العالم الإسلامي كله اليوم يسير في تعليمه وتربيته العلمية

على النهج الغربي والشرقي بدليل أن كل الجامعات - مثلا - تدرس نظرية فرويد في البحوث النفسية، ونظرية دور كايم في علم الاجتماع، ونظرية ماركس الاشتراكية والشيوعية، ونظرية فريزر في علم مقارنة الأديان.

وينادى بإحياء الجاهلية التي سماها الله في كتابه وسنة رسوله جاهلية: تدرس على أنها حضارة راقية ضاربة في أعماق التاريخ أكثر من سبعة آلاف سنة!!

و كذلك التغنى بأمجاد أوروبا ومعرفة "أبطال" حضارتها، وفصل الدين عن الدولة، وأن الدين علاقة بين العبد وربه ولا دخل له في شؤون الحياة... كل ذلك كان ثمارا طبيعيا للغزو الثقافي.

وأخيرا: فإن هذه المنهج التعليمية قد جردت المسلم من ولائه لله ورسوله ودينه وإخوانه المؤمنين ومحت عداوته لأعداء الله، فنشأ جيل لا يعرف الصلة بالله، ولا يقيم ولاءه وانتماه على أساس عقيدته بل على ما تعلم وانتسب إليه من المذاهب والانتماءات الجاهلية ^(١).

٤- وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام — الكتاب، القصة، الإذاعة، التليفزيون، المجلة، الجريدة، السينما، وأخيرا الفيديو — أثر كبير وخطير على جميع طبقات المجتمع وقد أدرك أعداء الإسلام خطورة الوسائل وما لها

(١) الولاء والبراء (٤٠٠).

من تأثير عميق فأحكموا قبضتهم عليها، وبنوا من حلالها ما رسموه لإفساد المسلمين وإخراجهم من إسلامهم.

وجميع هذه الوسائل تحرص — وبكل ما أوتيت — على فسخ وخلع ولاء المسلم لدینه وإخوانه المؤمنين وتركز بكل قوّة على تذويب وتميّز المسلم عن غيره، وعلى زعزعة براءته وعداوتة للّكفار، حيث تحسن للناس: أنّ الّبلاد الصناعية هي بلاد الحرية وببلاد التقدّم وببلاد العلم والرقي والمدنية وأنّ الذي يشعر أو يدين بالعداوة الدينيّة لهذه الشعوب العظيمة هو إنسان لم يعرف روح العصر وروح العلم الذي مزق الحواجز بين الأجناس ووصل القارات وجعل الناس إخوة في الشرق والغرب!! وهي الّبلاد التي يستطيع الإنسان فيها أن يمارس ما يشاء كيف يشاء!!

ولقد قامت وسائل الإعلام في الّبلاد الإسلامية. ولا تزال تقوم. بحرب شعواء على الدين الإسلامي وعلى المسلمين ففضلاً عن أنها تحسن وتدعى إلى موالاة الكفار: هي أيضاً حريصة على نشر الفاحشة في الدين آمنوا.

والمتابع للصحف الصادرة في أوائل هذا القرن الميلادي يجد فيها صورة صادقة لما نقول فصحيفة المقطم — مثلاً — تتحدها موالية للإنجليز، تعمل لحسابهم، وتصور أفعالهم بأنّها أفعال إنسانية، حيث أنّهم — أي الإنجلiz — لم يقيموا في مصر إلا لرفع الظلم وإحياء العدل، وإليهم وحدهم يرجع الفضل في إنقاذ مصر من كلّ ما أصابها!! وكذلك كانت مجلة المقتطف تدور كتابتها وآراؤها حول

هذا الموضوع.

وقد عملت هذه الصحف وال المجالات المأجورة على إماتة الجihad بمفهومه الإسلامي الصحيح، وتردد ما يقوله أسيادها من أن المسلمين أناس هم يحبون الحروب وسفك الدماء، ولا تتسع صدورهم للتسامح "لأنهم متعصبون"!!

فإذا أرادوا الخروج من هذه الوصمة فعليهم بالتسامح والتحبب للآخرين وتغيير النظرة إليهم، ويجب عليهم أن يبرأوا من ذلك "التراث" الذي يعمق تلك الروح المتعصبة في نفوسهم.

ومن المهام التي عنيت بها وسائل الإعلام: إشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة والسعى بالفساد في الأرض لخلخلة العقيدة وتحطيم الأخلاق وإذا اهدم الركنان الأساسيان — وهم العقيدة والأخلاق — فكيف يرجى بعد ذلك قيام بناء سليم (١)؟

لهذا اعتمد الكفار المحتلون والمبشرون والمخططات اليهودية الإعلامية التخريبية على أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي اعتماداً كبيراً وعلقوا عليها آمالهم بل حققوا بها أهدافهم في حركة التغريب وإفساد الأخلاق لذلك يقول المستشرق جيب "إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي" (٢).

٥- الاحتلال والتبشير:

(١) الولاء والبراء (٤٠٩).

(٢) التقليد والتبعة (١٠٣).

لقد بذل الكفار — أصحاب الحضارة الغربية الجاهلية — مجهودات ضخمة لفرض حياؤهم وسيطرتهم على المسلمين ومحو العقيدة الإسلامية من قلوبهم وإبعادها عن واقع الحياة لأنها العقيدة الوحيدة التي تهدد كياؤهم، فسلكوا لذلك طريقين:

أحدهما الاحتلال المباشر وما يتبعه من السيطرة السياسية والغزو الفكري والثقافي والاقتصادي.

والثاني: حركة التبشير النصرانية هدم الكيان الإسلامي من الداخل وبشتي الوسائل والطرق السليمة لغزو الأفكار والقلوب بطريقة سحرية جذابة.

وقد سار هذا الغزو والتبشير بشتى أشكاله ضمن مخطط رهيب ومركز يشتمل على برامج هدامة تشيب الوليد ومنها:

١ - انتشار مئات الآلاف من المبشرين النصارى في كل أقطار العالم الإسلامي المترامي الأطراف وبالأخص البلدان التي يخيم فيها الجهل والفقر والمرض للاهتمام بأحوال هذه الشعوب ومن ثم التأثير على عواطفهم وجذبهم إلى النصرانية، لذلك اهتم المبشرون بأفريقيا وإندونيسيا والهند، وقد اتخذت الإرساليات التبشيرية وسائل كثيرة لتنفيذ برامجها، عن طريق المدارس والمستشفيات ومارسة الطب، ودور النشر والسفارات والهيئات الدولية والجمعيات الخيرية والتجارية المختلفة، ووسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وسينما ومسرح، والمنظمات والبعثات الدولية والعالمية، والشركات الغربية المختلفة التي تعمل في شتى المشاريع والمؤسسات في العالم الإسلامي،

وغير ذلك من الوسائل الكثيرة.

٢ - فتح المدارس الأجنبية — في العالم الإسلامي —
وإلاكثار منها على مختلف المراحل الدراسية وإظهارها بمظاهر يفوق
المدارس الأهلية والوطنية التي يقوم عليها المسلمون — إن وجدت
— وإلاكثار من الأساتذة — المبشرين — أو من يخدمهم من
غيرهم.

٣ - إرسال المبعدين — من أبناء المسلمين — إلى دول
الغرب للدراسة هناك بشتى أنواع الدراسات ليأتوا في الغالب.
محملين بالسموم الغربية ويتولوا حركة التغريب في بلدانهم، وقد
سلكت الدول الغربية أسلوباً عجياً مع هؤلاء المبعدين. فالذين
ينبغون منهم ويزرون في تخصصاتهم فإذاً أن تغريهم بشتى المغريات
لتستفيد منهم ويقيموا في الغرب فإن وجدت عند أحدهم إخلاصاً
لبلاده، ويمكن أن يكون له دور قوي في نهضتها فإن مصيره الاغتيال
وإذا قدرت له السلامة فلابد أن تعمل على عرقلة جهوده في بلده
أو التضييق عليه حتى يفر من بلاده، كما فعلت الحكومة المصرية
أيام عبد الناصر مع كثيرين من المفكرين وعلماء الذرة المصريين !!

٤ - عرقلة المشاريع الإنمائية والتعميرية والصناعية في العالم
الإسلامي ليظل محتاجاً إلى الغرب في كل شيء ويستورد كل شيء،
فقد عمل الغربيون الكفار على عدم توفير الدراسات العلمية الكافية
في العالم الإسلامي ليظل كذلك يرسل فلذات أكباده ليربيهم الكافر
على عينه، فيحارب بهم دينه.

٥- العمل على ترويج الانحراف الخلقي والفكري بشتى الوسائل: بنشر الكتب المضللة والمنحرفة وتشجيعها ودعمها وكذلك دور السينما والتلفاز والإذاعة وتشجيع الكتاب والمحرفين وبث الدعاية لهم.

٦- ترويج المسكرات: والمخدرات ودور البغاء والعهر والفحور وتشجيع العري والميوعة، والتخنث والرقص والاختلاط، بشتى الوسائل المغربية وإغداق الأموال الطائلة لهذا الترويج باسم اللهو البريء حيناً والمحرم أحياناً.

٧- السيطرة الاقتصادية: على خيرات العالم الإسلامي وربط المصالح الدولية الاقتصادية بالغرب الكافر ليقى بى شتم خيرات البلاد والشعوب الإسلامية ويستنزف طاقتها ويشيع الفقر والبطالة فيها، ويعمل جاهداً على عدم توفير الخدمات الفنية والتكنولوجية من المسلمين أنفسهم.

٨- العمل على إحياء وتجيد الحضارات الجاهلية القديمة كالفرعونية والبابلية ليقل ولاء المسلمين للإسلام، والحط من قيمة الحضارة الإسلامية.

٩- العمل على إلغاء المحاكم الشرعية والاستغناء عنها بالمحاكم الوضعية، أو إقرار النوعين! ومن ثم الحط من قيمة الشريعة الإسلامية وترويج فكرة عجز الفقهاء المسلمين — بل الفقه الإسلامي — عن حل المشكلات الحديثة وعرقلة الجهود التي تبذل لتطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة والدولة.

- ١٠ - القضاء على الكيان الأسري المتنفس وإفساد المرأة المسلمة لتربية الأجيال تربية مادية منحرفة، والقضاء على معانٍ الرجولة، والفضيلة، والحياء والفتوة الإسلامية التي تحلى بها الشباب المسلم قديما.
- ١١ - تطبيق برامج التعليم والتربية الجاهلية التي رسماها الكفار لل المسلمين.
- ١٢ - ترويج الدعاية للكتابة الغربية الرأسمالية أو الكتلة الشرقية الشيوعية وتجيد قوادها وأقطابها، والإعجاب بطريقة الحياة فيها، وإشاعة الرعب منها والرغبة إليها والتسابق على صداقتها والتماس رضاها، وأن الحياة والرزق والتوفيق متوقف على اللجوء إليها، والاستعانة بها عند الملمات وباختصار اتخاذها القدوة المثلى كما هو واقع بعض الحكومات في العالم الإسلامي.
- ١٣ - وضع بذور المذاهب والأحزاب المدamaة والمنحرفة والعمل على تكينها من المراكز القيادية في البلاد الإسلامية وتشجيعها وحمايتها، كالاشتراكية والبعثية والقاديانية والبهائية والشيوعية والأحزاب المختلفة لتبقى الأمة في انقسامات سياسية وطائفية تشغله عن دينها الحق، ولتسير راغمة. في ركب الحضارة الغربية الجاهلية والتقليد الأعمى.
- ١٤ - العمل على فصل الدين الإسلامي عن الدولة والحياة وإبعاد القرآن والسنة والدراسات الشرعية عن مناهج التعليم والتوجيه والإعلام أو تقليلها لتبقى مجرد ومضات روحية للبركة.

ثم الحط من علماء الشريعة والاستهتار بهم، وعزلهم عن مراكز القيادة والتأثير في الأمة وتسميتهم "رجال الدين".

١٥ - بذل كل المحاولات لتشويه التاريخ الإسلامي والحط من شأن الحضارة الإسلامية وإخضاع الأحداث التاريخية الإسلامية للتفسير الغربي الجاهلي ليضعف اتصال الأجيال المسلمة بتاريخها وافتخارها به.

١٦ - محاربة اللغة العربية "لغة القرآن الكريم" ومحاولة محوها بفرض اللغات الغربية على البلاد الإسلامية المحتلة كما عملت فرنسا الصليبية في الجزائر والمغرب وبريطانيا في الهند وباكستان ^(١).

٦- المستشرقون:

لقد حرص الغربيون — بعد نهضتهم المادية — على دراسة التاريخ والتراث الإسلامي وأحوال العالم الإسلامي في ماضيه وحاضره دراسة تفصيلية وتحليلية، تلفت النظر وتستدعي الوقوف عندها لاستنتاج الدوافع والأهداف من وراء هذا الاهتمام، لاسيما وأن مختصي الاستشراق من أكابر الأساتذة والمفكرين في الغرب، لكنه سرعان ما ينقضى عجبًا من هذا الاهتمام عندما نرى الآثار التي تركها هؤلاء المستشرقون في دراساتهم المتعددة إنهم كما قال الله عنهم: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبُعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٨].

(١) التقليد والتبعة (١٠٣ - ١٠٦).

إن نتائج دراسة المستشرقين للإسلام والتراث والتاريخ الإسلامي حملت في طياتها السم الزعاف متمثلة في نظرائهم وآرائهم واستنتاجاتهم المنحرفة لأنهم كفار لا يدينون بدين الإسلام، ولما تحمله نفوسهم من حقد وبغضاء للإسلام وأهله — كما ذكر الله عنهم — ثم ما أثاروه في كتاباتهم حوله من شبّهات ودسائس وأكاذيب ومفتيّات وطعون وتشويهات، وتلقينهم ذلك الأجيال المسلمة حين كانت لهم الكلمة والسيرة وما كتبوا في ذلك من مؤلفات ونشرات ومقالات من المفكرين والأدباء والمتقين المسلمين الذين كتبوا في ذلك الكثير، من وجهة نظرهم هم — المستشرقين — كل ذلك جعل الأجيال المسلمة تنظر لتاريخها وتراثها ودينها نظرة سلبية، وتقف من ذلك موقفاً متّحاذلاً فأصيّبت بوصمة الولاء والتبعية للغربيين الكافرين.

وخلاصة القول: إن كل من تأثر بالمستشرقين — فكراً ومنهجاً — لا يمكن أن يكون ولاؤه لدينه وأمته صافياً صادقاً كما أن براءته لن يكون وفق التصور الإسلامي الصحيح ^(١).

٧- المذاهب اللامدية:

إن من أخبث وأخطر ما واجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللامدية بينهم، حيث أريد لهذه المذاهب المدamaة أن تمحو شريعة الله من الأرض وتقصيها من واقع حياة المسلمين. وتشتت ولاء المسلمين الواحد إلى ولاءات جاهلية متعددة، فإذا

(١) التقليد والتبعية بتصرف (١٠٧).

انتزع ولاء المسلم لدینه سهل حينئذ تقبله لأي فکر، ورضي بـأي وضع يعيش فيه مهما كان في ذلك من التبعية والاهتزام.

والهدف الأول والأخير من كل هذه المذاهب الكافرة هو: إخراج المسلم من إسلامه وقطع ولاء المسلم بربه ودینه وإنحصار المؤمنين، ثم العودة إلى روح الجاهلية التي تمثل في الطاعة والانقياد والخضوع لهذه المذاهب الكافرة ولطواوغيتها الذين يخططون لها. والعودة أيضاً بال المسلمين إلى جاهلية العرق والنسب والتراب وسائر أنواع النتن التي أمر الله المسلمين بتركها لأنها تنقض عرى الإسلام عروة عروة. وهذا الهدف تتفق عليه كل المذاهب من عقيدة الولاء والبراء — سأقتصر على تلك المذاهب التي تبدو فيها صورة منافقها لهذه العقيدة واضحة جلية، وتناقضها معها أمراً ظاهراً.

ومن ذلك القومية والوطنية، اللتان تحصران الولاء في دائرة الجنس أو التراب فيلتقي فيها مثلاً اليهودي العربي والنصراني العربي والشريك العربي، والبعشي العربي مع المسلم العربي. لأن رابطة القومية تجمعهم!! وهذا أمر يرفضه الدين الحنيف لأن الرابطة فيه هي رابطة العقيدة، فضلاً عن أن الوطنية والقومية ضيقتا دائرة الولاء.

ونتيجة لضعف المسلمين وتمكينهم عدوهم من أنفسهم سهل استعمارهم من قبل أرذل خلق الله. وهم اليهود والنصارى ومن جاء بعدهم كالملاحدة الشيوعىين.

وبعد أن تمكن العدو من السيطرة على أرض الإسلام أخذ يبث سعومه وينشر في نفوس الضعاف والسدج والعلماء حبه ونصرته

وموالاته، واستحسان ما هو عليه من باطل وكفر، وهنا نزع الولاء الإسلامي ليحل محله الولاء الجاهلي الكافر.

ومصداق هذا الكلام قول أحد المستشرقين في كتاب "الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته" وهو يتحدث عن أسلوب نزع ولاء المسلمين فيقول: "إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشاً الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الإسلام، ولسنا نعتقد بهذا أن المسلم سيترك دينه ولكننا يكفيانا منه تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات".

وبعد أن كان البراء أمراً ملزماً للولاء تجاه هذه النعرات الجاهلية أصبح أمراً لا وجود له — إلا عند من رحم الله — لأن هذه الأفكار كفيلة بغسل فكرة البراء من النفس عند ضعاف الإيمان أو المغالطة عند البعض بأن هذه الأفكار والمذاهب لا تتعارض مع الإسلام! ويقال: ما الذي يمنع المسلم أن يكون مسلماً وقومياً أو مسلماً علمانياً أو مسلماً اشتراكياً... الخ.

ولما أدرك أعداء الإسلام مدى جدوئي وفاعلية هذه الفكرة التي تمسخ المسلم حتى يصبح مخلوقاً لا صلة له بالله — كما قالوا — بدأوا ببث فكرة القومية والوطنية، مبتدئين بتركيا مقر آخر خلافة إسلامية، حيث نشأت هناك: القومية الطورانية وتزعم هذه الدعوة حزب "الاتحاد والترقي" فبدأ "بترريك" تركيا، وعودة القومية الطورانية متخذين لذلك شعار: الذئب الأغبر الذي هو معبود الأتراك قبل أن يعرفوا الإسلام.

وبهذا "التربيك" أخذت الدولة العثمانية تضغط على العرب، حيث تعطي الأتراك امتيازات خاصة بهم لأنهم ترك! وهذا الفعل فضلاً عن كونه يعارض مبدأ العدل الإسلامي هو أيضاً مؤشر للعرب أن يتحدون في قومية جديدة! وهذا هو الذي حصل فعلاً.

ولما انتكست العرب وعادت إلى نعمة الجاهلية، فقدت روح التضحية والجهاد، وولت وجهها تجاه اليمين واليسار، حيث اليمين له ألوان وضرور من واشنطن إلى باريس إلى لندن واليسار له ألوان أحمر وأصفر وبينهما بعدما ما بين موسكو وبكين.

ولما وقعت هذه النعرات الجاهلية وقع معها كل باطل وكل شر.

فأما شريعة الله وحكمها وقيامتها بما يحتاج إليه البشر لأنها من عند الله وهو العليم سبحانه بما يصلح أحوال البشر. فقد أقصيت وحل محلها قانون البعث العربي الاشتراكي الذي أخذ يردد هذا الشعار.

		لا تسل عن ملتي أو مذهب
		أنا بعثي اشتراكي عربي

وكثر التغني بهذه الأبيات من أجل ذبذبة ولاء المسلم، فهذا حافظ إبراهيم يقول:

		أنا مصرى بنى من بى
		هرم الدهر الذي أعيى الفنى

ورجعت العراق لعنصرية الآشوريين، وكل بقعة أخذت تنادي

بهذه الردة الجديدة.

أما الشعار الوطني الجديد: فهو ما أعلنه سعد زغلول بقوله:
الدين لله والوطن للجميع! أي الوطن ليس لله، ثم قال: لا تنادوا
بشعارات إسلامية خشية أن يغضب إخواننا الأقباط.

ونادى دعاء القومية الناس بأسلوب ماكر فقالوا: ما المانع من
أن يكون المسلم العربي — عربياً مسلماً — ، ثم قالوا: يكون عربياً
فقط. أليس الإسلام عربياً؟ إذن ما هو عيب القومية العربية؟ إن
العرب إذا ذلوا ذل الإسلام فلنناد بالقومية العربية!!

وهذا كلام غير صحيح لأنه يوم ذل العرب جاء صلاح الدين
الكردي، وجاء قظر المملوكي فأنقذوا المسلمين من ذلك الهوان،
وانتصر القائدان بقولهما وإسلاماه.

ولم يكن في حسهم ولا في عقيدتهم هذه التفرقة ولا هذه النعرة
الجاهلية.

وخلاصة القول في القومية: إنما شرك بالله لأنها بإيجابها العمل
لها وحدها. والتضحية والجهاد في سبيلها، وصرف الكره والبراء
وما يتبعهما ضد كل خارج عن القومية، وصرف الحب والولاء وما
يتبعهما للقوميين ومن والاهم: هي بهذا تكون نداً يعبد من دون
الله، لأن ذلك يقوم مقام النفي والبراء والإثبات والولاء وهم ركناً
الألوهية، أو العبادة في قول "لا إله إلا الله" فـ "لا إله" نفي وبراء،
و "إلا الله" إثبات وولاء الله لا شريك له. والدليل على ذلك قوله
تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ
اللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].

وليس بعد الحق إلا الضلال. فليحذر كل مسلم على نفسه من الوقوع في هذا الشرك المقنع.

وأما العالمية: أو "الإنسانية" فهي تتفق أيضا مع القومية والوطنية في مناقضة عقيدة الولاء والبراء، ولكن هذا التناقض يتخذ شكل آخر: هو توسيع دائرة الولاء بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان. وهذا في حقيقة الأمر ضياع للولاء ومسخ للبراء حتى لا يعود المسلم يشعر بالفارق بينه وبين أي كافر في بقاع الأرض.

ويقوم هذا المبدأ على ألفاظ خادعة وموهنة مثل: الحرية والأخوة والعدل والمساواة.

وفي ذلك يقول كالغري: وحينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف على كل المعلومات المجردة عن الهوى، وحينما يصبح الجميع أحرارا في تفكيرهم، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل، وعندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد. وإن سأكون سعيدا باتباع دين عالمي موحد، تتبع مصادره من حقائق التاريخ، وتشمل مبادئه العدالة الاجتماعية، وتقوم بفضله مظاهر الحب والإخاء على أنقاض الكراهية والخصومة.

وهذا الكلام هدم صريح للإسلام، ومعول هدم لطمس الجهاد الإسلامي الذي يقوم على تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض،

ومن انقسامهم إلى "ملائ" وهم السادة الأقوياء و "عبيد"، وهم التابعون الأذلاء إلى جعلهم كلهم عبادا لله.

* * * *

وختاما نقول:

إن كل المذاهب البشرية القائمة اليوم في الأرض التي لا تستمد وجودها من الكتاب والسنة محاادة لله ولدينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ وأي تقبل لها أو عمل بمعادئها فإن ذلك موالة صريحة للكفار، وبراءة صريحة من الإسلام والله قد بين لنا في كتابه العزيز أن من تولى الكفار فهو منهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، آية: ٥١].

والإسلام هو الدين الذي يجمع ولا يفرق، وهو الذي يجعل الناس في ميزان الإيمان سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى^(١).

حلول وعلاج:

١- تصحيح مفهوم لا إله إلا الله محمد رسول الله. ودعوة الناس إلى فهم هذه الكلمة العظيمة كما فهمها رسول الله ﷺ وأصحابه الأئمّة، ومحو ذلك المفهوم الخاطئ الذي يردده المتأخرون وهي أنها مجرد لفظ عار من كل تكليف. مع بيان أن من تكاليفها موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين، وتحكيم شريعة الله واتباع ما

(١) الولاء والبراء (٤١٧ - ٤٣٥) بتصريف.

أنزله الله والكفر بالآلهة المزيفة والأرباب المتعددة من العرف والهوى والعادات والتألهين الذي يشرعون للناس بغير ما أنزل الله.

٢- تصحيح مفهوم العبادة وأنه مفهوم شامل كامل وليس مجرد شعائر تؤدي بينما نظام الحياة والممات قائم على مناهج وضعها البشر تفصل بين الدين والدولة، وبين الدين والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

فالعبادة هي عقيدة وشريعة ونظام حياة. قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ - ١٦٣].

٣- تربية الجيل على مناهج الكتاب والسنّة: لأن هذا هو الطريق الصحيح الذي به ترجع الأمة إلى ربه ودينه.

٤- طرد آثار الغزو الفكري وذلك بتعرية الجاهلية الحديثة، وتنزيق زيفها وهرجتها فتبين انحرافها مع إيجاد البديل الإسلامي الصحيح.

٥- تعميق قضية ولاء المسلم للمسلم وانتماهه لإخوانه المؤمنين فقط، وخلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها فالمسلم أخو المسلم في أي بقعة كانت، دار الإسلام هي دار كل مسلم في جميع أنحاء الأرض.

ومن تاريخنا ما يشهد بكل حلاوة على أهمية هذه القضية. فإن

امرأة مسلمة أهينت بعمورية فاستعاثت: "وامتصماه". فقال المعتصم: ليك أيتها المرأة المسلمة وجهز الجيوش وفتح عمورية ونصر المرأة المؤمنة، ولم يقل إنها في وطن وأننا في وطن بل انطلق من واقع مسؤوليته ك الخليفة مسلم. كل الأمة المسلمة أمانة في عنقه وهو مسؤول عنها يوم يلقى الله.

ومن هنا فإن نصرة المسلمين المضطهددين في كل بقعة من بقاع الأرض أمر واجب تفريضه هذه العقيدة. ويكون واجب المؤمن — حينئذ — محبة هؤلاء المسلمين ومناصرتهم باليد واللسان والمال والنصرة في كل موطن ومناسبة.

٦- تعميق قضية المعاداة والبراءة من أعداء الله الكفار منهم والمرتدين. وإنه لا يجتمع إيمان في قلب مع حب الكفر وأهله كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَاتَهُمْ﴾ [سورة البجادلة، الآية: ٢٢].

والحرص على تمييز المسلم عن كل وضع وفكرة يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٧- التأكيد على قضية عداوة أولياء الشيطان لأولياء الرحمن، فإن هذه العداوة قائمة منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فالحزبان لا يلتقيان أبداً لأن حزب الله يريد دعوة الناس إلى عبادة الله، وحزب الشيطان يدعو الناس إلى عبادة الطاغوت وطاعته، وقتل المؤمنين لصدتهم عن دينهم.

﴿وَلَا يَرَأُونَنَّكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِّي
أَسْتَطِعُهُمْ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٧].

-٨- بعث الأمل وتقويته في النفوس بقرب نصر الله كما قال ﷺ : «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله»^(١).

* * * *

الخاتمة

أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

فإن طريق الخلاص من هذا الملوان والتبعية التي أصيّبت بها أمتنا هو الإسلام ولا شيء غيره أجمل فهو دين الله... هو عبادة وصلوة، إيمان وعمل عقيدة وشريعة وهو تجربة تاريخية واقعية ثابتة سامة.

وهو حلول وإصلاح وبناء، وعمل، وتعمير، وجهاد متواصل يقوم بجهد الإنسان المؤمن.

والإسلام الآن... ومن ثم العالم الإسلامي — لا يرجع إليه عزه وبمحده إلا برجال، وتضحيات غالية، وجيل يحمله، ومجتمع يقيمه، ودولة تحمي وتجاهد في سبيله، ولا تتاجر به.

أسأل الله سبحانه وتعالى — أن يأخذ بأيدي المسلمين جمِيعاً إلى سبيل مرضاته، وأن ينقدهم مما هم فيه إنه على كل شيء قادر.

(١) الولاء والبراء (٤٣٧ - ٤٧٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد وآلها وصحبه أجمعين.